حوار أجرته مجـلة مـصطـلـحـيـات

مع فضيلة الأستاذ الدكتور أمين عبد الكريم ("ميشال باربو")

أستاذ جامعي متميز من جامعة ستراسبورغ، منذ 2007

دكتور فخري للآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الجزائر 2004

ترحب هيئة تحرير مجلة مصطلحيات بالأستاذ الدكتور أمين عبد الكريم، وتشكره على تلبيته للدعوة على الرغم من كثرة التزاماته العلمية.

****

س: بداية كيف تشخصون داء اللغة العربية المتمثل في عدم مواكبة وتيرة تطور المنظومات المصطلحية الحديثة للعلوم والفنون؟

ج . لقد شرفتموني بهذه الدعوة ويسرني انتهاز هذه الفرصة لشرح مواقفي من أمور تأهيل لغة الضاد لمواكبة التقدم التقني الحاضر والمقبل على أحسن ما يرام. لا أخفي عليكم أنني أصدرت مقالات في الموضوع، منها تلك التي أحلتم إليها، كما أن كتابي الأخير الذي يرجى صدوره في المغرب عند أواخر هذا العام إن شاء الله، أعتبره خلاصة صادقة لأبحاثي اللغوية في المعجم العربي طوال أكثر من ستين سنة. وإن لم يكن موضوعه المصطلح فإنه يعالج شتى المشاكل المعجمية ويتطرق إلى أشياء مرتبطة بكل ما يعرقل تطويرالمصطلح الفصيح عبر العصور. لقد استعرضت مواد القواميس الكبرى ربع قرن ونيف استعراضا يوميا، وسجلت ارتباطاتها اللفظو- دلالية حتى أنني توصلت إلى جمع ما يفوق على 150.000 ارتباط بين الألفاظ الموصوفة منذ عهد الجمهرة واللسان والقاموس والتاج الخ على صعيدي الدال والمدلول. ولم أنفك أستطلع هذه المعطيات المتشابكة استطلاعا متأنيا، وقد أفضى بالعبد الفقير إلى اختراع أدوات تحليلية وتصميم مناهج معجمية جديدة مستلهمة من المادة الأصيلة ذاتها ،لا من اللغات الغربية وذلك لسبب علمي بسيط، هو أن المستوى المورفو- نظمي في اللغات البشرية خاضع لقواعد شبه منطقية أي شبه عالمية نادرا ما تخص مجتمعات وثقافات خاصة إلا أن المعجم بالعكس مندمج دائما اندماجا صميما بل مترسخا في خصوصيات المجتمعات والثقافات وحتى الأفراد أحيانا، ولهذا السبب –خلافا لعامة المعجميين العرب ولا سيما المستشرقين - استطلعت مستوى تنظيم الألفاظ والمعاني - ما يسمى سيميائيات اللغة - حيث تتفاعل العوامل غير النحوية في عمليات أداء المعنى عند المتكلم أو تشكله عند المتلقي. سأرجع إلى ذلك فيما بعد. وإذاك أصبح الكثير من معجزات لغتنا العزيزة يتضح ويتلألأ كدرر حافظ إبراهيم في

بيته الشهير.وانتهجت انتهاجا سيميائيا في دراسة أبيات الشعر وتفسير آيات من الكتاب الكريم...

س. هل ترون أن هناك مخاطر تتهدد لغة القرآن الكريم كما يقدر كثير من الغيورين؟

ج. أجل، وإن ظن العديد من المؤمنين أن قداسة الكتاب الكريم تحمي لغتنا حتى يوم الدين وتؤمن مصيرها في هذه الدنيا، إلا أن كل لغة تتطور شيئا ف شيئا بين أفواه وشفاه الناطقين بها، فلا تزال تتأثر بتطورات الأفراد والبيئات والأجيال، فيكفي أن يعرض الناطقون عن استعمالها وتعليمها ونشرها حتى تنهار وتندثر و"تموت" كما يقال. وقد حصل ذلك عند العبريين القدماء قبل رسالة سيدنا عيسى عليه السلام، رغما عن همتهم وغيرتهم الدينية وحلت الآرامية محل اللغة العبرية وبقيت هذه – وإن كانت لغة الرسل القدماء - شبه ميتة حتى القرن التاسع عشر م.، ولم تبعث إلا في حضن الحركة الصهيونية وبجهود المسؤولين والمستوطنين على أرض فلسطين من كل أطراف العالم، وكلف هذا الإحياء أثمانا باهظة دفع اليهود ما دفعوا وكان الباقي الملوث بالدم على حساب العرب منذ النكبة ولا تنفك التكاليف تتزايد مباشرة أم لا على الأمة العربية والإسلامية. فليكن ذلك عبرة تاريخية لأهل الضاد جميعا : كل شيء زائل إذا أهملناه إهمالا، ويشهد بذلك تراب الأرياف والتلال المنكوبة ... وكذلك التلال الكبرى في البادية الشامية، وكأنها مقابر الحضارات المندثرة وغبارأنقاض الإمبراطوريات وآثاراللغات الشرقية المنسية...

فحذار من جميع المخاطر التي تتهدد لغة العرب حقا وإن كانت لا تتهدد مصير الذكر الكريم مباشرة إلا أنها تتهدد فهم كلام الله في العصر المعاصر وفي العصور القادمة، وقد أوشكت التطورات الفنية المتسارعة والتغيرات الحضارية المتزايدة وتقلبات العقليات في أنحاء العالم تتفاقم خطورة على وضوح الكلام الإلهي فتشوش تلقيه أكثر من مرة مع تدفق المعارف العلمية وأمواج المعلومات المنقولة حوالينا يوميا... ولا تزال مسألة تحديث التفاسير القرآنية مطروحة إلى يوم الدين حتى يكون سؤال الأموات وحكمه سبحانه وتعالى في أعمال البشر منصفا عادلا، فلا بد للبشر المحكوم في أمرهم من معرفة مشيئة الله ومن فهم أوامره الحكيمة على أحسن ما يرام. وإن هذا يتطلب بل يقتضي ردم الهوة التي قد تتسع بين التفاسير المكتوبة في القرون الفائتة وما تعلمنا اليوم العلوم الحديثة المتطورة من تاريخ هذا الكون. لذلك خصصت عدة صفحات كتابي المقبل صدوره بعد أشهر إن شاء الله لتعميق تفسير بعض الآيات الكريمة على ضوء مكتسبات نظريتي المعجمية "النحت الأكبر" وتأملاتي الشخصية المتواضع. وأرجو أن هذا الاجتهاد الصريح - مهما كان محدودا - سوف يساعد الزملاء والإخوة المؤمنين في التوفيق المنشود بين الإيمان والمعرفة العلمية الصحيحة. وألمح في هذا الصدد إلى ما أتيت به في الكتاب من توضيح كلامه عز وجل في التقاء ماء السماء وماء الأرض عند إنقاذ نوح على ذات

الألواح، وفي جعل كل شيء حي من الماء كذلك... سوف أفيد القراء بالمناهج التشريحية التي طورتها منذ ربع قرن بعون العليم استنباطا من تحليل المادة المعجمية الفصيحة والتي تفضينا اليوم بالكثير من اللآلئ الثمينة الكامنة منذ الأزل في مطاوي صدفات لغة التنزيل.

س. ما هي أسس مقاربتكم السيميائية الهادفة إلى رصد الترابطات اللفظية-المعنوية بين الكلمات العربية ؟

ج. لقد استعرضت المعجم الفصيح - ما عدا قراءة النصوص بقدر المستطاع - متصفحا القواميس الكبرى لابن منظور والفيروزابادي وابن سيده الخ، فضلا عن استيعاب أكبر معجم استشراقي وهو القاموس العربي- اللاتيني للعالم الألماني" فرايتاغ" الصادر في 1830، وطبعا ترجمته إلى الفرنسية 1860 بقلم ترجمان اسمه "كازيمرسكي". سجلت منذ شبابي على هوامش القواميس وحتى بين سطورها - وحينذاك لم يكن لدينا أي حاسوب لسوء الحظ - أكثر من 150.000 إشارة ترجعني إلى مواد أخرى من الواضح أنها مرتبطة ارتباطا مؤكدا على صعيدي الدال والمدلول . الحاصل أن هناك مجموعا لا يزال يزداد بيد العبد ولله الحمد وبه التوفيق. بدأ العمل اليومي قبل سنة 1990 بجانب التأمل الدائم في الترابطات المكشوفة ويعلم الله ليلا ونهارا . حيث أن هذه الروابط تخص العلامات ومركباتها اللفظية والدلالية، لا دالاتها فحسب ولا مدلولاتها على حدة، يجدر بنا اعتبارها روابط سيميائية. أي عناصر مادية تشارك في تنظيم المعاني بعضا للبعض، وهي غير نحوية- فإذا ملموسة، أي قابلة لترقيم ذي دلالة للحساب المعلوماتي ، بدلا من تحويل الحروف إلى رموز" آسكي" كما هو المعتاد إذ أن تلك الرموز مرتبة ترتيبا أبجديا والأبجد التقليدي لا يحمل أية قيمة دلالية بمعنى الدلالة اللغوية أبدا. ويعرف العلماء أن اعتقاد بناء الكون على قيم حروف الأبجد العبري : أ ب ج د ه و ز ... ليس إلا أثرا باليا لأساطير الأولين. أما أسلاف العروبة الناطقون بالضاد فأورثونا ثروة لغوية هائلة لا مثيل لها في النظم اللغوية الأخرى: تلك التوصيلات الحسية والفكرية والروحية بين العلامات السائرة التي سميتها "كنز الضاد".

ومنذ استطلاعي لأسس المعجم تكمن تلك الترابطات المتشابكة تشابكا منظوما إلى حد أنها خاضعة لقوانين رياضية أدرسها باستمرار وأفصلها في الكتاب المذكور، تأكدت شيئا فشيئا من صحة ملاحظة لابن فارس في كتاب "المقاييس" حيث قال - بصدد تكرار حرفين في اللغة بصحبة دلالة معينة - إن الله جعل لطفه في كل شيء، ورأيي الآن في أمر تشابك الترابطات أن هناك دليلا للتكشيف التلقائي القديم عند العرب القدماء وللعملية فوائد لا تحصى على جميع المستويات منها الحفظ على الآليات التذكيرية الدماغية، وكان الأسلاف أميين، يعني أنهم كانوا مضطرين إلى توفير وسائل لاشعورية للتذكر- بالإضافة إلى القوافي المقصودة أو الجناس مثلا - حتى أصبحوا مشهورين بذاكرتهم الجبارة في

شمل البشر. والفضل للذي منحهم تلك الملكة فأهل العرب هم ولغتهم لتلقي الكتاب الكريمكما اختار سبحانه تعالى أفصحهم النبي المصطفى خاتم النبوة – عليه الصلاة والسلام.

ثم اسمحوا لي أن أرجع القراء إلى نص محاضرتي الافتتاحية لندوة فاس ومكناس في فبراير2000 حول المصطلح، وقد طرحت فيها السؤال عن أولوية الكلمات الفنية الدخيلة ، المترجمة في الأخير، أم الاصطلاح على أساس القيم اللفظو-دلالية الأصيلة المدونة في كنز الضاد. كانت المحاضرة مرفقة بعرض بضع صور وجداول تفسر محتوى الخطاب وتسهله بقدر الإمكان غير أن الناشر حذفها لسوء الحظ. فأرجو أن تطلعوا يوما على الرسوم البيانية التسعين في طي الكتاب المتوقع صدوره في المملكة بعد عدة أشهر إنشاء الله.

س. ما هي الآليات التي اعتمدتموها لرصد تنوع التأليفات المعجمية ؟

ج. كلمتكم عن كنز الضاد وعما ألهمني هذا المجموع من الاستنتاجات الشكلانية غير المستوردة من النظريات الأجنبية المعتمدة على لغات بعيدة نظمها عن اللغات السامية. كما نشأت المدرسة التوليدية التحويلية في الولايات المتحدة في إطار العقليات الأنجلو-سكسونية وتأمرك الأفكار والمبادئ البنيوية الاوربية منذ أوائل القرن العشرين.
والمعروف أن معظم الألسنيين في العالم - وإن احتجوا مرارا على هذا العتاب الاخوي والعلمي. والجدير بالذكرأن شمس المدرسة التوليدية التحويلية لم تبق في كبد النهار حيث انفجرت في الخمسينات، فأخذت تنخسف في أمريكا إثرعواقب النواقص الظاهرة في معالجة المعنى و تصاعد تكاليف إخفاق تطبيقها على الحاسوب والترجمة الأوتوماتيكية. والغريب أنها لا تزال مشعة بنورها لدى اللغويين المحدثين في العالم النامي لأن جاذبية صبغتها الدقيقة تساعدهم في التخلص من قيود التقاليد المحلية وتعزز إحساسهم بلزوم فكها المستعجل. بذلتُ المستحيل طوال 25 سنة وأكثر لأتجنب فرض المفاهيم المجلوبة على انتهاج خطة أبحاثي ما عدا المفاهيم الجبرية والهندسية، وحتى هذه اقتديت بها لما كانت حقا تناسب المعضلات المطروحة وأنا حرص دائما على تسبيق الواقعي على النظري، بعكس الكثير من الغربيين، وكتابي المذكور لا يخلو من الاستدلالات الرامية إلى انتقاد مواقفهم النظرية المفرطة والبرهان على فوائد تفضيل الوقائع. لا يمكنني الإسهاب في الكلام، والكتاب المذكور جاهز وهو لسان حالي بعد أن خصصت لإنشائه عشرين عام وأكثر.

وإذا حاولت أن ألخص روح منهجيتي قد ألح على أنها ليست نحوية إذ أن قواعد الصرف والتركيب تهتم بالمعنى من خلال تصنيفات منطقية أغلبيتها لا تختلف كثيرا على وجه الأرض، ولاسيما من منطقة إلى أخرى، مع بعض الاستثناءات. ومهما كانت القواعد

أحيانا بالغة التعقيد أو بالعكس بسيطة جدا ومهما يبد الأمر هكذا لأبناء لغة معينة، لا تؤدي الأدوات النحوية وظيفتها في ظروف نموذجية ولا تجاري مرونة التعبير وحتى مرونة المسارات الدماغية. وإن صعب تخمينها من خارج " الصندوق الأسود"، فإنما هي على عاتق الوسائل غير النحوية. لا أتكلم هنا عن تنوع تركيب الجمل ولا عن البلاغة الخ، وإنما عن "هيكل" الكلمة والعلاقات الداخلية بين حدودها وعن الروابط الإبدالية التي عالجها النحاة والمعجميون في إطار ضيق يقتصر على لفظين مترادفين بل مبنيين على نفس الوزن، وكأنها مجرد تنوعات صوتية بين قبيلة وأخرى أو وقائع ثانوية لا تمس بالمعنى المشترك. وقد أعرض ابن جني عن وحدة الوزن وعن الإبدال الوحيد ، فرأى أنه متواجد في جميع مقاطع اللفظ الثلاثي. وقد سماه "التصاقب" أو "التساقب". أما الوحدات المعجمية في لغتنا فإذا أمعنا أنظارنا إليها في إطار كنز الضاد، فإنها خاضعة للتصاقب في كافة أنحاء النظام ومن دون لزوم الترادف طبعا. يا حسرتي وإن المرحوم الشهيد صبحي الصالح لم يشعر بوظائف الإبدال الجوهرية. وأدعو العليم أن يجمعنا في حلقات سماوية لحوار لا حدود له ولا مسبقات أبدا فأقنعه بإذنه تعالى بأهمية التنويعات الصوتية والمعنوية معا...فقد اختارالعبد محور الإبدالات الدالة لأحد الإحداثيات الثلاث التي صممتها لتسجيل نفائس كنز الضاد على الحاسوب بأسرع ما يمكن، أي طالما بقي صاحبه المثابر قادرا على إرشاد من ينبري يوما ما لإنجاز هذا المشروع المبارك لصالح الأمة والأجيال القادمة.

أما آلية تأليف الوحدات فتوصلت بعون العليم إلى استخراج الأداة السائدة على تكوينها والقادرة هي الوحيدة على تزييدها عند الحاجة في زمن الناطقين الأميين، وهي عملية التشبيك التكراري، إذ أنها تتيح للدماغ البشري أو الاصطناعي قدرة استثنائية على إحداث أعقد التأليفات من دون أي تقليب، أي بلا إخلال بترتيب الصوامت. وهذا يعني النظام بأسره - باستثناء وجود بل هيمنة ثابتة شكلية يراعي زلات اللسان التي دخلته شيئا فشيئا. سوف تجدون في الكتاب جداول تبرهن على كفاية تواجد كلمتين مبنيتين على وزن مكرر وتقاسم صامتة واحدة للحصول النظري على جميع الأوزان بفضل التطبيق التكراري للأداة المذكورة. كما حصلت على قانون التوافق التكراري للأوزان المكررة، ذلك الذي يبرهن مثلا على أن وزن عفعف ليس ناتجا من قلب وزن فعفع، وإنما يتشكل عند أقصر تأخر في النطق أوفي سماع الأصوات المنطوقة، كما لاحظه السيوطي في "المزهر" بصدد الهتاف في الفلاة، أي لم يجد جوابا آخر سوى تشويش التخاطب البعيد لأمر هام يحرج المعجميين والنحاة : لماذا وكيف نرى فعفع وعفعف تارة مترادفين، و تارة أخرى متناقضين. حتى أن بعض المحدثين من أنصار المدرسة الشومسكية وأنصار تطبيقها على لغتنا بدلا من التفتيش في متن اللغة واستكشاف المبادئ الأصيلة الجارية في النظام للتناسق الضروري بين العلامات الرمزية في أفواه الناطقين بالضاد، لم يخطر ببالهم إلا هذا التقليب. فأرجوكم الاطلاع على الرسم البياني وتفسيره بالفرنسية المرفقين

بعد اختتام الحوار حتى تجدوا الحل الرياضي للقضية والبرهان على وحدة بناء المكرر واستحالة التقليب.

وكان حل المعضلة بسيطا على ضوء نظرية " النحت الأكبر" والحمد لله، فدللت عليه ضمن سطور وعواميد جداول نموذجية ملأت خاناتها بالصيغ الجبرية المناسبة، وهي تمثل كل المكررات المرتبة على أساس الأصناف الإبدالية المرتبة حسب ترتيب أعضاء النطق لا حسب الأبجد كما أشرت إلى السبب أدناه. وألفت أنظار القراء الكرام إلى أن الترتيب الصوتي الطبيعي للناطقين الأميين والأنسب لتلقينه للحاسوب هو هذا الترتيب العضوي المستخدم استخداما تكراريا يؤمن تنسيقا كاملا للوحدات المعجمية بشكل جبري يفهمه الدماغ الاصطناعي : تلك هي بعض الأدوات والآليات الجديدة الخاصة لرصد التأليفات وتصنيفها الطبيعي ومعالجة دلالاتها بالدوائر الإلكترونية على أساس المكتسبات النظرية المستمدة من ترابطات " كنز الضاد"... والإلحاح المبالغ في عدة سطور وجمل على أشياء شكلانية تطلبت من العبد سنوات متتابعة من التنقيب في المادة المعجمية قد يكون عسيرا للجميع وعملا ناقصا في آن واحد بالنسبة إلى الآفاق التي بدأت تنفتح أمام أهل الضاد عند هذه المرحلة الحالية من إدخال بيانات "كنز الضاد" في عالم شبه مجهول: إفادة الخير. ولن ينفع غيرهمإلا بمشيئته عز وجل. والعلم له ولا ينعم به إلا على من يشاء ولا يسدد خطى طلاب العلم إلا على الصراط المستقيم.

س. ما الدورالذي أسندتموه للذاكرة في تكوين التأليفات المعجمية ؟

ج. صحيح أن للذاكرة دورا هاما جدا من كل الجوانب.غيرأن السؤال المطروح يرمي إلى تكوين التأليفات، ذلك الذي يخص عمليات الإنتاج من جهة، وعملية التلقي من جهة أخرى. لن أتكلم ههنا عن مرحلة أخرى تهم النشاط الاصطلاحي مباشرة. فرغما عن خطورة هذه النقطة الأخيرة، اسمحوا لي أن أشير إلى ما وجدته في احتمال التصرف الدماغي بالمعجم مناسبا للمعالجة الحاسوبية في المستقبل. أولا : من الأرجح أن استعداد الإنسان للنطق قد يشبه البرمجة الإلكترونية حيث يبدأ تسلسل الأوامر بتشغيل أعضاء النطق وتسديد النفس إلى المخارج وتفصيل التغييرات الإضافية كمثل فتح أو سد بضعة حواجز : الحنجرة، الغشاء الحنكي الخ. تسبق ذلك مرحلة القيام بعمليات النطق ولو بقليل. وقد يكفي إخلال ضئيل في تنفيذ البرنامج حتى أن تقع الألحان وتحدث الزلات اللسانية...ونعلم أن جودة النطق تترتب على إتقان هذه العمليات وان الاستعدادات لها دورهام، وإن لم تكن مصممة لمدة أطول من عدة ثوان على الأكثر. وإن مدة البرمجة أطول عند الترجمة الآنية حيث يضطر الترجمان إلى حفظ ما يسمع من الكلام الأجنبي

حتى يفهمه بينما يستعد للنطق في لغته الثانية فيسرع إلى نسيان ما سبق من المسموعات، وهلم جرا... فتصوروا مصاعب تلك المهمة الرسمية وتعقيد النشاط الدماغي في تلك الظروف من بينها تشغيل الذاكرة. لقد مارست المهنة منذ أواخر الستينات إلى منتصف السبعينات، أي عند ضحى الفترة التي ازدهرت خلالها "السياسة العربية" للحكم الديغولي، فاستفدت كثيرا من تلك الممارسة وانتهزت ذكرياتي لفهم عمليات الذاكرة. بالخلاصة، فإن إحدى خصائص هذه الوظيفة العقلية في أمر الإنتاج إنما هي أن البرمجة قصيرة الأمد، على غرار الجهاز الحاسوبي المعروف بالتخزين الانتقالي للبيانات.

أما التأليفات السابق ذكرها في سؤالكم فكان علي للإجابة الوافية والتوضيح الكافي لموقفي النظري من إدخال مركبات الألفاظ داخل الذاكرة القصيرة الأمد لزوم تقديم التركيب، وهذا يؤدي إلى قضية بالغة الأهمية متعددة الاتجاهات : تحديد التباين الثنائي وظائفه المختلفة ومسألة حدوده والتيوريمات الدالة على وحدة التسمية مهما كان عدد الحروف "الجذرية" - الاستدلال موجود ومرفق بالرسوم البيانية - وعدة عواقب نظرية وعملية كمثل مكافحة تهميش الرباعي وجميع أبحاثي في المعجم تثبت من كل الجوانب تداخل الأنموذجين الثلاثي والرباعي وتشابكهما الكامل في جميع الوظائف اللغوية منها الدلالية، وحتى البنى المكررة، وتكرارية استغلال العناصر الثنائية : كل ذلك مرتبط ارتباطا صميما بالعلاقة الضيقة بين الثلاثي والرباعي. ومن لم يصدق قولي في غياب البراهين، فليطلع على مقالاتي وكتابي المقبل "محيط العلامات العربية".

<u>س: في تحليلكم المزدوج لبنية الكلمة العربية، تحدثتم عن الإدراج المورفو- معجمي والإدراج السيميائي، ما طبيعة كل منهما؟ وما نوع العلاقة التي تربط بينهما؟</u>

ج. لقد وصفت الفوارق بين المستويين النحوي والسيميائي في منشوراتي منذ صدور مقالة مطولة صادرة في طهران 1997-1998 في مجلة "لقمان" حتى محاضرتي الختامية لندوة فاس 2010 حول القاموس التاريخي للغة العربية، وقد صدرت في أعمال الندوة، القاهرة، ص841-897. بالخلاصة، كل العناصر غير النحوية المشاركة في تكوين الكلمة وعلاقاتها بالكلمات الأخرى تنتمي إلى بناء الألفاظ السيميائي. وهذه العناصر متنوعة كمثل التي تتفاعل في حياة اللغات، إلا أن الكثير من الألسنيين يعتبرونها خارجة من مجال علم اللغة، وهذا مؤسف جدا لأن هذا الرأي الضيق يتناسى شتى عوامل البناء والتطور - لاسيما في مضمار المعجم. يكفي الاطلاع على الوقائع المعجمية التطورية حتى نلقى الأمثلة البينة لما أقول، والصور المدرجة إلى مقالاتي المنشورة تهدف إلى تعريف تداخل العناصر النحوية والعناصر غير النحوية التي تنظم الدلالات المعنية في الكلمات المجلوبة : مثلا كيف تتشابك التباينات الثنائية أو ما هي التباينات العديمة الدلالة في كلمة كذا... والجواب الواضح المقنع في معلومات كنز الضاد، ولذلك أدعو إلى أخذه بعين الاعتبار- أي تسجيلها الإلكتروني قبل فوات الأوان...

س: هل ترون أن مولد "الأصول" (=الجذور) (Générateur de racines) بإمكانه سدّ العجز الملاحظ في مواكبة العربية للمستحدث من الاصطلاحات على شاكلة اللغات المتقدمة؟

ج. لا بد من التحفظ عن المبادرات المأخوذة من نظريات مجلوبة، أي ناتجة من تأملات خارجة من الثقافة المعنية - وهي ههنا العربية - كلما تمس المبادرة بنفائس الهوية. من طبيعة الحال، لا بأس باستيراد الوسائل والتقنيات الحديثة لنشر ثمار الفكر العربي والإسلامي، غير أن كل ما يخص "الجذور" في هيكل الكلمة حساس جدا بالغ الخطورة ، فوق المركبات الأخرى وهي المورفيمات. تلك التي تشير إلى حوالي مئة مميزة نحوية عامة او لا، كلها مصبوغة بشيء من المنطقي. أما الجذور ففي أحشائها بنات الفكر العربي الأصيل، وليست وئيدة أبدا إذا سهرنا عليها كما فعل الأسلاف وكيف نفعل وسوف يفعل أحفادنا إن شاء الله. لا باسم تقديس الماضي المنصرف ولكن بالعكس لإنقاذ التراث من الهلاك، أي من تفتت المعجزات والكنوز الرمزية والذخائر السيميائية التي يزورها العبد الفقير ليلا ونهارا منذ ستة عقود من عمره. أخشى أنا والله على طوفان أمواج الأشكال التعبيرية المجلوبة، فلئلأ تنسوا إنذارات الشيخ عبد القادر المغربي - ربما أذكى وأبصر شخصية من دفعة مؤسسي المجمع العلمي بدمشق، بين الحربين العالميتين في" كتاب الاشتقاق والتعريب" بصدد تسرب الأساليب الغربية إلى اللغة الفصحى المعاصرة.
9 وإذا سمحتم، أرجوكم لا تنسوا كذلك عنوان مداخلتي في نهاية ندوة تونس في كلية أبريل حول مجادلة السائد في اللغة : " من أصالة الجذور إلى جذور الأصالة، نظرية النحت الأكبر"- حيث ألححت على أهمية هذا التراث العلائقي - أي السيميائي - المتمثل في كنز الضادومجموع تلك الترابطات الثنائية المائة والخمسين ألف وأكثر التي تحل محل ديوان العروبة : لا كمنتخبات نثرية أو شعرية وإنما كرصيد مخزون من كافة أنواع توصيل الأفكار والعواطف والأحاسيس عن طريق تجميع العلامات الرمزية الأصيلة وتكثيفها العجيب، الذي هولا مثيل له بفعالية التشبيك التكراري : وتعميم هذه العملية شبه التجريدية إذ أنها تفكك التصفيف الصرفي وتناوب الصوامت الجذرية والأصوات النحوية على محور الزمن، فتتجاوز حدود الكلمات وحتى الأنظمة النحوية لمركبات الكلمات لنسج عبارة عن شبكة لفظو- دلالية في جميع أبعاد المعجم. تشبه هذه الشبكة السيميائية إلى حد بعيد ما يسمى " مورفينغ" بالإنجليزية في عالم الحوسبة : اي تلبيس صورة كائن حي بمجموعة منحنيات رياضية تحيط بها تماما وتصحب تحركاتها بكل مرونة حتى أن هذا اللبس قد يؤخذ بديلا عن الكائن الحي ويمكن تحريك هذا الأخير بمجرد تغيير القيم الحسابية لمعادلات المنحنيات. فبناء المعجم العربي السيميائي كأنه نسيج ثمين على مثل هذا المنوال، فتصوروا مقدورات تجسيد البناء العلائقي للمعجم العربي في صيغ جبرية يفهمها الدماغ الإلكتروني تماما بل يتقن استغلالها...

ستجدون بواكيرهذه الاختراعات في كتابي إن شاء الله. وإذا اهتم بعض القراء الأفاضل بتلك التنبؤات المعجمية فـأنصحهم بالغطس في أعماق الكتاب المذكور والاطلاع على رسومه رقم 82 و83 ثم على جدول رقم C ص383 الدالة على أنه يكفي تزويج كلمتين مبنيتين على وزن "فعفع" - أي على تكرير صوتين - وتطبيق أداة التشبيك التكراري عليهما للحصول على جميع الأوزان : لا أقل من اثنين وأربعين. ومن دون أي تقليب...

س. أين يقع مشروعكم العلمي المعجمي من المشاريع السائدة في الساحة العلمية كمشروع "المعجم العربي التاريخي" الذي تخوض فيه عدة هيئات عربية؟ ومشروع "الذخيرة العربية" التي نادى بتحقيقها أول الأمر الدكتور "الحاج صالح"؟

ج: أشكركم على تسمية ما أنجزته على صعيد المعجم الفصيح " مشروعا " إذ أنه مجرد عمل فردي وإن كان هائلا، يعلق مصيره على حسن نيات المؤمنين المهتمين بتحديث الدروس المعجمية وتطبيق الاكتشافات المنجزة في الميدان. لست متخصصا في تاريخ المعجم إذ أن أعمالي تهدف إلى جعل الحاسوب قادرا على "فهم" المعنى المعجمي . وهذا يعتبره أغلبية الناس مستحيلا، لأنهم يعتمدون على اللسانيات المأخوذة من اللغات الأجنبية أو المتأثرة من النحاة القدماء الذين لم يعيشوا التقدمات العلمية والتقنية الحديثة، فيتمسكون بمفاهيم بعضها ذات قيمة حتى اليوم والبعض الآخر متأخر والباقي خاطئ . فلإعادة النظر في أعماق النظام المعجمي الفصيح أمر مستعجل للجميع إذا أردنا تجنب تخليد أخطاء لا تزال سائرة في المنشورات العلمية وتلقين الشباب . وقد كان من واجب العبد مثلا تنبيه حضور ندوة 2010 بفاس حول "المعجم العربي التاريخي" إلى كثرة التأثيلات الخاطئة غير الجدية للألفاظ، المتداولة منذ أكثر من ألف سنة في بعض الأحيان، كتلك التي قرأناها في " المقاييس" فيرددها عامة الناس المقتنعون من دون تحفظ أو أي شك فيها... والحق أن عددا من التحليلات المشكوك فيها لا تزال تسبب تأثيلات غير صائبة ومن الصعب عادة إبعاد العقل "المبرمج" منذ ال طفولة عن الطرق المعبدة، ولو عرف الهادي الدليل أنها طرق الضلال. وأظن أن المعجم التاريخي سوف يبقى خاليا من التصويبات التأثيلية، وغابت التنبيهات والنصائح الأخوية... على مهب الريح. كما غاب العبد الفقير في العام الفائت عن اجتماعات قطر في تحضير المعجم التاريخي. وتاريخ العلوم والتقدم الفكري مليء بالفرص المفقودة وبالابتكارات المنسية المهملة : لم تنفع البشر معرفة قوة البخار في أوائل العهد المسيحي بالإسكندرية إلا بعد فوات ألفي سنة تقريبا. فكم يبقى هذا التراث المعرفي لدى تصرف الأجيال القادمة غير نافع مرميا على حافة طريق العروبة بينما تتسارع عجلة تقدم التقنيات حول ديارنا العزيزة...

أما المشروع المعروف باسم "الذخيرة العربية" فأرى أنه موفق توفيقا على أعلى درجة الحكم والحكام، والفضل للسلطات التي فضلت تمويل تخليد أفكار الأولين فلا أمل في إصلاح العقليات وتأييد الاجتهاد العلمي غير الانتهازي ما دامت التمويلات تغذي وتروي الأقرباء والحواشي . والأرجح أن مشروع تكليف تسجيل كنز الضاد لدفعة مجتهدين

محلفين - لأن المادة حساسة ومقدورات استغلالها الحاسوبية متوفرة، فيجب أن تفيد الأمة لا أعداءها - لن يتحقق بسهولة والمطامع بالمرصاد. على كل حال، إنه زادي في الآخرة وإني متأكد من حسن الاستقبال من طرف الزملاء المحبين وأعيان الضاد في الملأ الأعلى، وقد أمسيت مشتاقا إلى تلك اللقاءات الأبدية.

س.ما الدور الذي خصصتموه للنحت في هذه النظرية؟

ج. قد لا يفهم معنى اسم "النحت الأكبر". لا أنكر فوائد النحت كطريقة تكوينية للمصطلحات الضرورية الجديدة - وإن قاسمت بعض الآراء السائدة في أمره من وجهة نظر صرفي وجمالي. إلا أن رأيي أن اللغة لا تحتاج إلى هذا التوسع الاصطناعي المتكلف، إذ أن نظامها السيميائي العميق - يعني تنظيم علاماتها ومعانيها غير النحوي - مبني على تشبيك المركبات اللفظو- دلالية و تعد البراهين المجموعة في كنز الضاد بأكثر من 150.000. هذا هو النحت الصحيح المشروع المصمم منذ القدم حتى أيامنا. قم واغرف ما يرويك يا عربي...

س: أين تتقاطع نظريتكم مع نظرية ابن فارس في "الأصول المعنوية "؟ ونظرية ابن جني في "تصاقب الألفاظ للمعاني"؟

ج. أقول دائما أن نظرية "النحت الأكبر" منبثقة من تفكراتي في مجموع العلاقات اللفظو- دلالية الكامنة في صدفات قعر المحيط المعجمي. فبطبيعة الحال يبدو لي أن مجهوداتي غير باطلة في أعين علم اللغة العربي إذ أنه تعميم فكرة العبقري ابن جني المولد في باب التصاقب وباب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني". فكفاني فخرا وامتنانا كرم العليم إذ أنه أنعم على عبده بتكريس ثلاثة عقود من عمره لإثبات فكرة صائبة وجمع شواهد لا تحصى وللإلمام بها بثمن اختفاء عنفوان الشباب. لم أعثر- لسوء الحظ - على نسخة من "الأصول المعنوية " وأرجو هذا العثور بالحقيقة. ثم لا أعرف ما يعني ابن فارس بكلمة "أصول معنوية".إن كان يؤكد أن للجذر العربي معنى أصليا فهو خاطئ، وتعدد المعاني متمثل في أكثر من تسعين في المئة مما يسمى "الجذور" العربية. أما سائر اللغات الشقيقة والقريبة : السامية والحامية وحتى الكوشية في قرن أفريقا الشرقية - ليس الجذر شيئا قديما في تاريخيها، وإنما هو بالعكس واقع جديد، حديث في تاريخ التطورات اللغوية وكـأنه نوعا ما تقارب تدريجي لأشباه نطق جماعات الناطقين صوب نطق مشترك مع الحفاظ على معنى ثابت... من ذلك نشأة فكرة التصاقب التي وسعت مجال الإبدال إلى الحروف داخل حدود كلمتين ثلاثييتن مترادفتين، غير أن أبحاث العبد في العصر المعاصر تبرهن على عموم التصاقب في النظام المعجمي بأسره من دون قيود الترادف. إن المعيار الدلالي الوحيد هو توارد قيمة دلالية معينة وميزة صوتية معينة أيضا يقاسمها مجموع

منظم من الكلمات داخل ما يسمى "الحقول المعجمية". وعلى كل حال، فلنتحذر من كلمة "الأصول " إذ أنها ليست أصلية أبدا، وإنما هي مراحل فائتة في تاريخ تطورهذا الكون والأدلة عليها لا تحصى – لا في الطبيعة حولنا ولا في لغتنا كذلك. والباقي أوهام فحسب.

س. ماهو موقفكم من مقاربات بعض اللسانيين المحدثين في رصد بنيات المعجم العربي ؟ كمقاربة "جورج بوهاس" في نظرية الثنائي على وجه التخصيص، ومقاربات المستعربين في وصف بنيات المعجم العربي

ج: من المؤكد أن فكرة دلالة الحروف بحد ذاتها غير صائبة، وأن العديد من الأدلة المعاكسة تجرحها بل تدحض حججها الواهية : تواجد حرف معين بمثابة فاء الكلمات المتقاربة على الصعيد الدلالي كمثل الغين للغياب والاختفاء : غيب، غرب، غم، غمد، غمر، غمص، غمض، غوص الخ... را. أحمد فارس الشدياق في " سر الليال في القلب والإبدال " الصادر في القرن التاسع عشر م. وتطبيقه المضلل للأصول الثلاثية. إن عدم دلالة الحروف - أو بالأحرى الصوامت الجذرية - حقيقة مثبتة، وقد جعلتها مسلمة أولية للنحت الأكبر - لا يعترف بها حتى الآن إلى من يتشبثون بتقاليد قديمة جدا ترجع بعضها إلى القبتاريخ وأزمنة تقديس الحروف المنقوشة على الصخور والحجارة عبادة واتقاء ونذرا للآلهة والأوثان ولتذكير الأموات وردع إساءاتهم... وإضافة إلى ذلك تعليق قيم حسابية على الحروف الأبجدية أو رموز أخرى عند الشعوب القديمة كالعبريين ثم العرب في القرون الأولى من العهد المسيحي، فتذكر واستنتاجات "القبالين" اليهود القائلين مثلا بأن خلق الكون قد حصل تكوينه على أساس الحروف العبرية...
فالمعترف به في اللسانيات الحديثة هو أن الدلالة مبنية في أذهان البشر على تقابل أصوات متفق عليها ضمن نظام معين وأيضا على تباينها. اتفق البنيويون الأوربيون منذ حوالي قرن على أن التقابل الصوتي الأساسي واقع في نقطة معينة من تتابع أصوات الكلمات والجمل وأن التباين واقع بين نقطتين مختلفتين من التسلسل اللفظو- دلالي. ومن ذكرتم من المستشرقين متأثرون بمفاهيم المدرسة التوليدية التحويلية الملقبة ب "الشومسكية " باسم بشيرها الذي اشتهر أيضا في الوقت المعاصر بمواقفه الصريحة الباسلة – وهو يهودي – المضادة للاستبداد الصهيوني على أرض فلسطين. ومهما كانت نظرية جورج بوحاص الثنائية معتمدة على مبادئ وبديهيات قد تبدو سليمة لأول وهلة فإن مناقشتي لهذه الشواهد – وهي مواد مأخوذة من قاموس مترجم إلى الفرنسية مباشرة وحرفيا – وتدقيقي المتأني منذ صدور إنتاجه واهتمامي المتواصل بكل الأمثلة المعاكسة المدونة في كنز الضاد والتي لا تنفك تدحض مفاهيم العالم المذكور ومناهجه واستنتاجاته، قد أفضت بالعبد إلى ضرورة انتقاد أسوأ تلك النواقص والأغلاط طي كتابي كلما اقتضى الأمر إدخاله في دراستي. لذلك لا ليصح لي الإطناب في الجواب وأكتفي بتحذيركم الأخوي وإلفات انتباهكم إلى إهمال الرباعي – حوالي خمس المادة المعجمية - عند تصميم النظرية، والنقصان البديهي على الصعيد الدلالي وجمع المعاني المتواجدة في

الشواهد وتلقيبها بمصطلح "الشحنة المعنوية"، وتقصيرالهيكل الصامتي للثلاثي على "صامتين + حرف زائد + حرف زائد"، لا يعلل طبيعته في معظم الأحوال ولا محله في الكلمة كذلك ولا وظيفته الدلالية أي دوره في بناء المعنى المعجمي للكلمة المدروسة. ثم استخراج لائحة 135 تباينات ثنائية قابلة لتقليب صوتميها - وقد برهنت على أن ما يبدو مقلوبا في أكثر الأمثلة ليس سوى نتيجة تضييق مجال البحث وأنه يكفي توسيعه ولو مرارا بإضافة كلمة واحدة... حتى نتأكد من أن اللفظ المقلوب – زعما – يراعي الانتحاء الزمني المحتوم على جميع الكائنات في هذا الكون. والاستدلالات جاهزة في الكتاب مع الكثير من الرسوم البيانية المرفقة إلى عرض النقط من أجل التوضيح. في سبيل انتقادي لمعالجة المستشرق الفرنسي للمعنى أكتفي الآن بذكر" الشحنة المنسوبة إل ى ثنائية {ب،ر} القابلة للتقليب – كذا – وهي مزدوجة على قوله :

« être bon, pieux, vrai » et « habiter les champs »

فأترككم تتفكرون في تقييم معالجته للمعنى المعجمي : القابلة لتقليب الباء والراء، إهمال عدة قيم دلالية أخرى كمثل "القارة" أو "التفوق"أو "الجنة" أو "القمح" أو "الاحتياط" الخ، ومزج الدلالات بصفة عامة بدلا من اتخاذ منهجية مبدئية متينة لمعالجة إشكالية "تعدد المعاني"... فإن المختصر المفيد من هذه الملاحظات هو أنني عاجزعن قبول هذه السطحية المنهجية وحتى اللغوية، الكامنة في هذا النظر العاجل لكل الأمور، ولاسيما تفضيل الحكم النظري على حجج الوقائع وضيق مجال الدرس في معظم الأحوال. أؤكد لكم أن لصرامة ما أقول أدلة قاطعة وبواعث جدية وأنها بسيطة بالنسبة إلى مستوى القساوة والتعابير الوقحة والميل إلى استخفاف آراء الزملاء وتقليل شأنهم وحتى شتم الأخصام في منشوراته وتهجماته الكتابية المفاجئة، المعروفة في الأوساط الاستشراقية، ضد من تجرأ على انتقاد مواقفه ولو بالإدلاء المؤدب بالتساؤلات أو دحض أحكامه بطبيعة الحال.

أشكركم أجمعين على صبركم الحميد، وعلى حسن ظنكم للعبد وتفانيه في خدمة الضاد وأهله الطيبين ومن بينهم مسؤولي فتح هذا المنبر، واستودعكم الله رجاء أن نلتقي في الأخير حول ما يجمعنا : حب لغة الجنة، واندفاعنا من أجلها إلى نهاية وجودنا على هذه الأرض المباركة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

Ex. du *champ* de la COLERE

RANG	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	
ORIG	15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	0	
Ch. défin.	L	P	A	V	λ	P'	D	L'	λ'	P''	V'	A'	D'	λ''	L''	P'''	
EXTR	0	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	
	B. init.							CS								B. term.	

N = ORIG
\+ *R*
N' = ORIG + EXTR
R = *N* - ORIG
R = EXTR + 1
ORIG = *N* - *R*
ORIG = *N'* - EXTR
EXTR = *N'* - (*N* - *R*)
EXTR = *N'* - (ORIG)
EXTR = *R* - 1

<u>جدول 57 (القسم الثاني)</u>
N = عدد مخارج النطق (اسم المخرج في الرسوم البيانية : ذروة) المتسلسلة في مسار عملية تشغيلها القانوني (حقل معجمي معيّن) – هنا 16 ذروة في حقل الغضب.
R = (Rang) = رقم المخرج في المسار النطقي.
ORIG = عدد التباينات الثنائية التي تبتدئ بهذا المخرج.
EXTR = عدد التباينات الثنائية التي تبتدئ بهذا المخرج.
Chemin définitoire : المسار النطقي القانوني لحقل معجمي معين.

N' (= N-1) = عدد العلاقات الثنائية المتصلة بين مخرج (من مخارج المسار) والمخرج التالي، هنا : N' = 15.
N' = ORIG+EXTR. هنا 15 مهما كان رقم المخرج المبتدأ والمخرج المنتهى (في تباين ثنائي معين). هذا الإجمال ثابت، لا يتغير. هذه النسبة العكسية مؤكدة، فانظروا إلى ج 57 : ل:R = 2← ORIG = 14 و EXTR= 1،فإجمالا 1+14 = 15.
فقرة 13.3.2 : النسبة العكسية الثابتة بين ORIG وEXTR هي المؤشّر الرئيسي في قيم المسار. إن أهمّ قوانين توليد الوحدات المعجمية ضمن حقل معيّن يتمّ كشفه من خلال تسلسل المسار حيث تتشابك العلاقات اللفظو- الدلالية – المتصلة والمنفصلة - بين وحدات الحقل المعجمي. يتضح عموم هذا القانون بدقتها الجبرية من خلال ثبات قيمة الإجمال المذكور: N' = EXTR + ORIG.
وكما نراه على السطر الأعلى من الجدول، ينطبق مبدأ الترابطية العامة (بين الوحدات المعجمية العربية) على ترابط جميع ذرى المسار القانوني، وذلك بمراعاة "سهم الزمن"، إذ أن هذا المرور لا ينقلب أبداً، والحوادث والحالات تتتابع على ما يسمى "محور الزمن". هذا المبدأ وثابتته (مراعاة سهم الزمن) ينطبقان على العناصر الثنائية المتشابكة في بناء المعجم بأسره.
وقد برهنت في كتابي على أن ما يبدو مقلوبا مظهر سطحي ناتج من تقصير مجال البحث وقلة الأمثلة (في أغلب الأحوال كلمتين أو ثلاث). والمقلوب المزعوم يجاري اتجاه التباينـ(ـات) الثنائيـ (ـة) الملموسة الموجودة في كلمات أخرى، لا في الكلمة المشاهدة. هذا يعني أن مرتبة الفونيم الجذري مرتبط ارتباطا صميما بنظامه في بناء التباين الثنائي: إما كمبتدأ وإما كمنتهى. لذلك تتشابك قيمة ORIG وقيمة EXTRعند مركز تماثل مسار حقل الغضب (R=8.9).
ORIG= 8 ثم 7. كذلك EXTR = 7 ثم 8. تتناقص قيمة ORIG من مبتدأ 15 حتى منتهى 0، بينما تتزايد قيمة EXTR من مبتدأ 0 حتى منتهى 15. من المؤكد أن علاقة النسبة العكسية هذه تراعي "سهم الزمن" مراعاة كاملة هي الأخرى.
إن البرهان الرياضي على العلاقات الصميمة بين جميع رموز الذرى المذكورة والحقائق اللغوية المشار إليها من خلال هذه الرموز – ومنها العلاقة بين مرتبة الفونيم الجذري ونظامه في بناء التباين الثنائي – يكمن في معادلات ج. 58 التسع. يمكنكم التأكد من صواب هذه المعادلات بإدراج أرقام عواميد ج. 57 في معادلات ج 58...
من الواضح أن N و'N وR يمكننا تقييمها التدريجي عند استطلاع المعجم العربيثم حقلا حقلا ، كما قمت به منذ ربع قرن وأكثر.
فأمكنني الآن بل حانت فرصة استخدام هذا الترتيب الجبري للحقول المعجمية بمساعدة الدماغ الاصطناعي، بناء على المعطيات العلائقية التي جمعتها في "كنز الضاد" : 150.000 ارتباط لفظو-دلالي على الأقل. فالاستنباطات الواردة من استغلال هذا الكنز التراثي والمناهج التحليلية المصمّمة على هذا العمل الشكلاني الهائل أسهل إنجازها أكثر فأكثر إذا أحرزناها بعون الحاسوب منه إذا اكتفينا بمقدورات الدماغ البشري. ذلك لأن

تدفق المعلومات المجموعة وتشابك المعطيات وتقاطع الطرق المنفتحة للأبحاث المستقبلية لا شك أنها حواجز مبدئية ونظرية تفرض علينا المثابرة والتأني والصبر، وبالله التوفيق.

إلا أن ما أفضى بنا المنهج الشكلاني من الاطلاع الدقيق على خفايا المستوى السيميائي للغة الضاد يفتح لنا آفاقا جديدة ويلهمنا الرجاء في تحديث وسائل استخدام ثروة المعجم الفصيح وفعالية بنائه الاستثنائية لصالح الأجيال الحاضرة والقادمة، فيما يخص تعاون المستجدّات العلمية ومقدورات الدماغ الإلكتروني.

إسمحوا لي أن أرجع إلى ج. 58. يدلنا على ترابط المعادلات التسع، ولهذا الواقع أسباب بنيوية هامة وبسيطة معا:

ازدواج نظام كل فونيم جذري، إذ أنه مبتدأ ومنتهى تباينات ثنائية في آن واحد داخل حدود الحقل المعجمي.

ارتباط الفونيم الاحتمالي بجميع فونيمات الوحدات الأخرى (بواسطة التباينات الثنائية).

مراعاة "سهم الزمن" من قبل كافة عناصر النظام المعجمي.

هذه العوامل الثلاثة هي التي ولدت ترابط المعادلات توليدا رياضيا، بالنتيجة يمكننا الحصول على كل قيمة عن طرق حسابية مختلفة وبصفة تدريجية: كلما أمكننا تقييم EXTR (را. المعادلة الثامنة). وحيث أن التقييم يتمّ داخل حدود الحقول المعجمية يحتاج ترقيم النظام الكامل إلى تكثير عمليات التقييم ثم إلى تنسيق النتائج – أو بالأحرى إلى اكتشاف تنسيقها الحقيقي. فقد شرعت في الأمر منذ سنوات ولا أزال أبحث عن طرق التوصيل الطبيعي والعلامات الدالة على تفاعُل الوحدات المنتمية إلى حقول مختلفة، متجنبا التأثيرات غير الأصيلة وضغط المفاهيم المجلوبة.

سوف تجدون تفاصيل إضافية في ص 266 من كتابي، والمهمّ الآن أن تطّلعوا على مقدورات نظرية النحت الأكبر وعلى خطورة الشكلنة المستمدّة من المعجم العربي مباشرة، لا من المدارس اللغوية المبنية على تحليل لغات غير سامية كالإنجليزية والفرنسية إلخ. على سبيل المثال، أداة التشجير التوليدية الشومسكية المأخوذة من الرياضيات، إزاء أداة التشبيك التكراري المأخوذ من تأملاتي في ارتباطات المعجم الفصيح، وهي متعددة إلى حدّ فوق المتصوّر، غير أن تلك الارتباطات خاضعة لقوانين غير نحوية تؤدي إلى توثيق روابط الدلالات ما بين الحقول. وقد أتيت بالأمثلة والشواهد المعجمية على طول البيان.

<u>سألخص الآن تفسير ج.58 كما يلي:</u>

كل خطوة تقدّمية على درب مطروق يفضي بالباحث إلى تقدمات جديدة بل مجدّدة على درب آخر غير مضروب. وكما يفعلون عند رياضة التسلق (Escalade)، يمكننا التوصل إلى ذروة شاهقة، رغما عن مصاعب تسنّمها،

عن تجنّب اتخاذ النهج المستقيم، وقد يكون الخط العامودي مستحيلاً؛

عن التمسّك بالارتكازات المتينة (كمثل ثابتة 'N في أمر المعادلات التسع أعلاه)،

ثم عن وثبات متتابعة منطلقة من نقاط الارتكاز.

يذكرني ذلك المنهج تصرّف أذكى الحيوانات البحرية، وهو الأخطبوط، الذي يتسلق صخور الأهوية مستغلا أدمغته التسعة (واحد لكل من مجاسّه الثمانية، ودماغ مركزي ينسّق حركاتها)، فيرتكز صعوده على بعض مجاسّه قبل أن يرفع مجاسّ أخرى إلى فوق، متفكرا في طرق الصعود قبل القيام به بواسطة إرشادات الأدمغة المعنية.
قد يرفهنا هذا التشبيه الحيواني عن صعوبة الموضوع، وقد يخفف تواتر الأسئلة المطروحة، مع ذلك لا شكّ أن هذه القضايا خطيرة جدّا لمستقبل الضاد في العالم الحديث، ولا بدّ من تسخير المناهج الشكلية لصالح آدابنا وثقافتنا العلمية إذا قصدنا مواكبة تقدم اللغات العالمية وتجهيز الدراسات العربية بالأدوات العقلية المناسبة، وفق الله جهودنا، إنه القادر وبه نستعين.